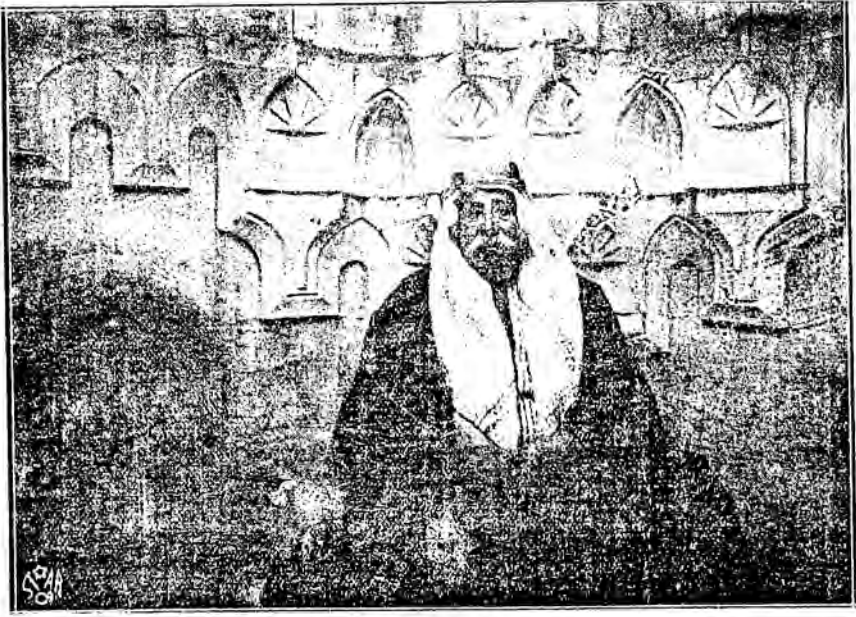


الصخرة المقدسة في المسجد الأقصى

لسعادة شيخ العروبة الأستاذ أحمد زكي باشا



(سورة الباشا بلباس عربي ، جالسا فوق إحدى «سقالات» البناء في قبة الجامع الأثري الذي يتيه)
ومن ذا الذي يحمل «شيخ العروبة» وقد ذاع اسمه وشاع ، وملاً البقاع والأصقاع ؟
وهل بعد دفاعه المجيد ، عن جدار المبكى في القدس الشريف ، يحتاج منا إلى تعريف ؟
ذهبت إلى سعادته مرة من المرات التي أتشرف فيها بزيارته ، للسؤال عن بعض
المسائل التاريخية ، أو التحقق من بعض النقاط الخلافية ، فجر بنا الحديث إلى ذكر
الصخرة الشريفة ، فصال في الميدان وجال ، كأنما يستدعيني إلى الطعن والنزال .
وأني لطالب علم صغير ، بمنزلة «شيخ العروبة» وعلامة الشرق الكبير ؟
لكن الله أراد بي لطفاً ، فما نشعر إلا وحامل البريد يسلم الباشا خطاباً دامظروف
عجيب ، فما أن قرأه حتى ضحك كثيراً ، وعجب للأقدار تساعد صغيراً ، وقال خذ
الكتاب واقرأ ، إن ما أتيت لأجله سائلاً ، قد سبقك إليه صاحب هذا الكتاب أولاً .
وإذن : فليكن جوابه علي صفحات (المعركة) فهي به أحق وأجدر .

فأما الخطاب فتاريخه ٢٤/٤/١٩٣١ وتاريخ وصوله ٢٠/٥/١٩٣١ وهو
وارد من مدينة « جيمس تون » في جنوب أفريقيا وهذا نصه : (من غير تعديل فيه)
تحريرا في ٢٤/٤/٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين

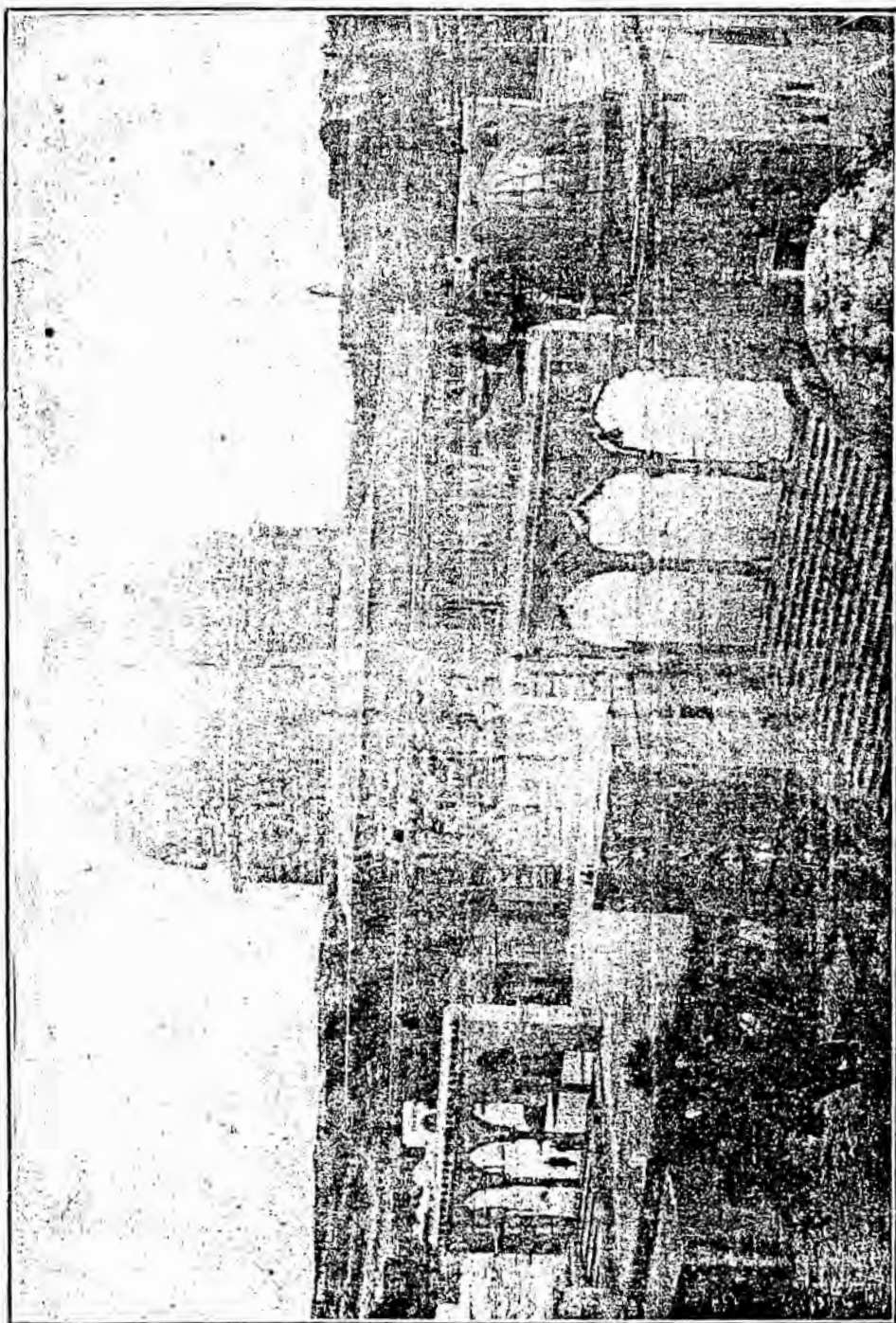
إلى محترم المقام العالم العلامة سيدى العزيز سعادة أحمد زكى باشا أطال الله عمره
وجعله ملجأ للقاصدين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأنى أتطفل بسؤال من جاهل
مثلى إلى عالم مثلكم عن الصخرة الشريفة المعلقة بالبيت المقدس ما سبب رفعها وتعليقها
فهل هى المعنية فى سورة الأعراف فى قوله تعالى « وإذ نتقنا الجبل « الآية » ... أو
جبل آخر وهل كان رفعها قبل ... عليه السلام وهل كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام
يولى وجهه قبلها بعد أن بنى هو وابنه إسماعيل البيت الحرام أو قبله وهل يعقوب ويوسف
وجميع الأنبياء إلى عيسى على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام كانوا يحجون البيت
الحرام أو كانوا يحجون إلى الصخرة أو إلى البيت المقدس أرجو الأجابة على ذلك
ولكم الأجر والثواب ولو كان ذلك بنشره فى الأهرام حتى يستفيد جاهل مثلى وتقبلوا
فائق احترام خادمكم المخلص ؟
أحمد الرهينى

وهذا هو مقال سعادة الباشا وفيه الرد الشافى

(وصف الصخرة)

إن مدينة القدس مبنية ، على جبال متشابكة متواصلة ، هى المعروفة بجبال
القدس . ومنها جبل « موريا » ويقوم الحرم المقدسى على قمته . وكلمة « موريا »
عبرانية يقابلها لفظة « مرأى » فى العريية لأنها محل الرؤية . أى رؤية الأنبياء
لله تعالى

برزت من هذه القمة كتلة صخرية صلبة ، امتازت على سائر أبعاد هذا الجبل
بالتماسك والصلابة والمتانة ، هذا إلى وضعها الذى جعلها فى شكل يلفت الأنظار
وذلك أنها مع اتصالها الوثيق بأرضية الجبل ، قد تجردت منه ، وبرزت
عليه فصارت كالواقف فوقه المنحنى عليه



(منظر عام لقبة الصخرة المقدسة)

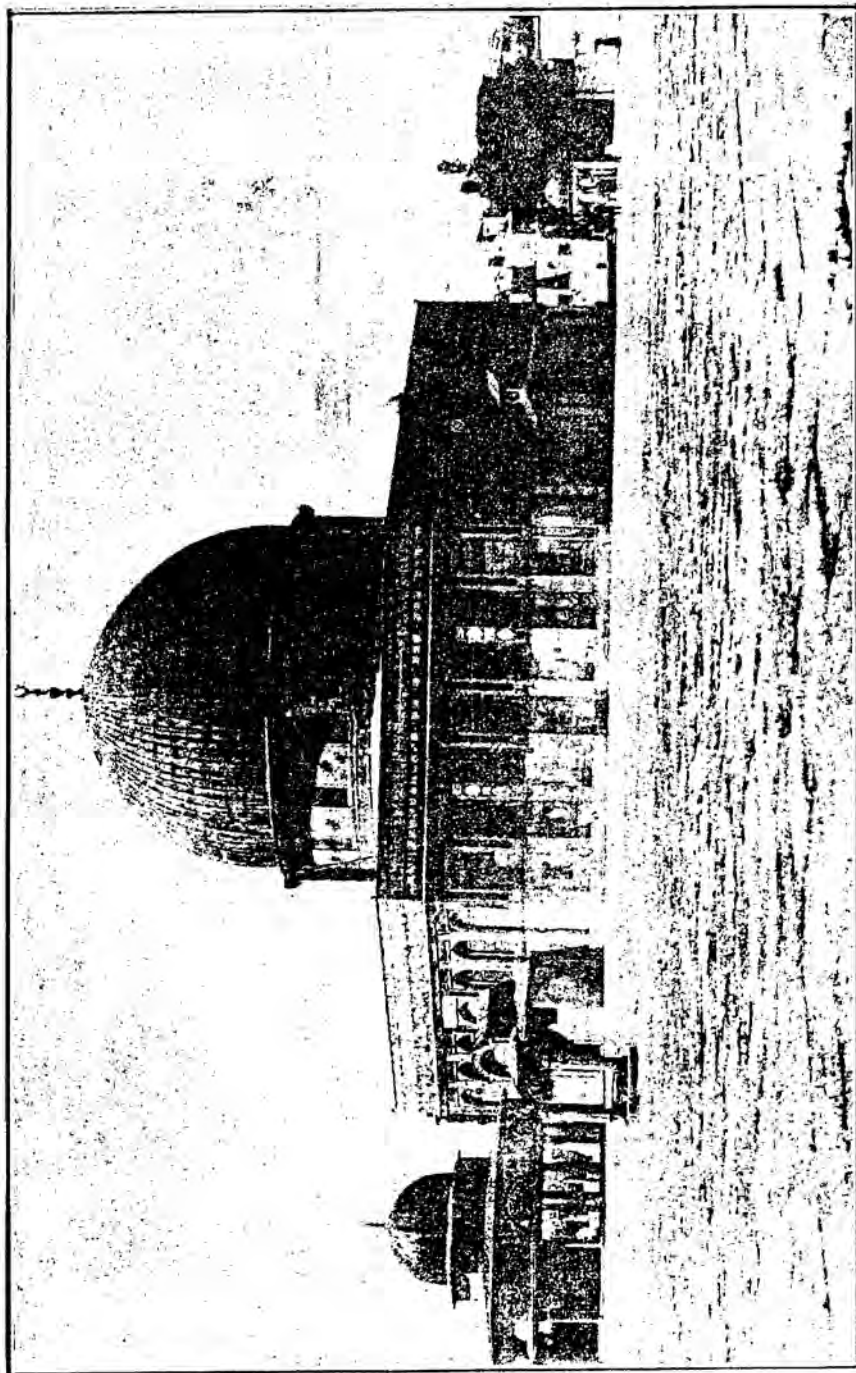
أما شكلها الطبيعي ، فيكاد يكون شبيهاً بالدائرة . والقسم المستدير منها ينحني في شبه الركوع إلى الناحية التي تشرق منها الشمس ، بخلاف الجزء العمودي فإن قته مائلة إلى ناحية الغرب . وطولها ٥٦ قدماً ، وعرضها ٤٢ قدماً بالتقريب وقد بقيت هذه الصخرة إلى الآن على حالتها الطبيعية ، كما أوجدتها الاضطرابات البركانية في أيام الخليقة والتكوين . فتوالت عليها الدهور والعصور دون أن يلمسها الحجار أو الحفار أو النحات أو النقار ، بيد أو آلة أو أداة من أزميل أو إسفين أو مسمار

والناظر إليها يرى أنها تكاد تنكب على الأرض ، لولا أن الأمام محي الدين بن العربي (١) - على ما بلغني - قد تداركها من الانهيار والسقوط ، فأمر بأسنادها على عمودين لطيفين من الرخام ، لا يزالان قائمين إلى اليوم .
(أسباب تعظيمها)

- ١ - عليها خاطب يعقوب ربه ، ولذلك سماها « باب السماء »
- ٢ - فوقها رأى النبي داود الملاك يحصد بنى إسرائيل في أيام الوباء ، فاشتراها لأقامة الهيكل عليها ، وصار يعبد الله فوقها
- ٣ - عليها كانت محاريب الهيكل الذي شيده سليمان . ثم الذي شيده زَرْبَابَل مع نَحْمَـهـُـيَا ، ثم الذي شيده هيرودس الأكبر ، ودعا عليه المسيح بالخراب . فصار قاعاً صفصفاً
- ٤ - تحتها قبر سليمان على ما يقال
- ٥ - عليها كان الأنبياء يقيمون الصلاة
- ٦ - إليها كان بنو إسرائيل يتوجهون في صلواتهم أينما كانوا

(١) سألتني ولدنا المحقق صاحب « المعرفة » عن الدليل في قولي « العربي » لا « عربي » ، فأجبتُه بأن الأمام نفسه قد كتب اسمه بأداة التعريف . كما رأيتُه بخطه في إجازته لابنته على جزء من كتاب الفتوحات المكية . رأيتُه بحلب في حيازة الأستاذ العتايلى .

(منظر عام لقبة الصخرة مع قبة السلالة المشهورة)



- ٧ — فوقها كان المحراب الذى تعبد فيه السيدة « مريم » الطاهرة البتول العذراء وهناك كان يوافيها النبي زكريا (١)
- ٨ — عليها أقام الوثنيون من الرومان هيكلًا كبيرًا ألهمهم زفس (وهو چوبتير عند الأفرنج ، وبرجيس عند الفرس ، وكوكب المشتري عند العرب)
- ٩ — إليها كان إسرائ النبي العربى القرشى ، ومنها كان معراجة إلى السماء
- ١٠ — كانت قبلة للمسلمين يتوجهون إليها فى صلواتهم ، حينما كان هناك لنبيهم أمل فى استدراج اليهود إلى الدين الجديد . وبقي الحال على ذلك حتى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة ، فصارت الكعبة قبلة لهم (٢) حيثما كانوا فى الشمال أو الجنوب ، وفى الشرق أو الغرب

خرافات وأكاذيب عن الصخرة

تظاهر جماعة من أحبار اليهود بالدخول فى الإسلام ، ليصيروه فى مقاتله إذ عجزوا عن هدمه بمناوئته وجهاً لوجه . وقد نالوا بعض بغيتهم بتسميم العقول وبث الأضاليل فى النفوس . وهكذا فتنوا الناس بالخرافات التى ما أنزل الله بها من سلطان

ورأس هؤلاء الذين اندسوا بين المسلمين لافساد عقائدهم ثلاثة من أخبث الشياطين : - كعب الأخبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سبأ

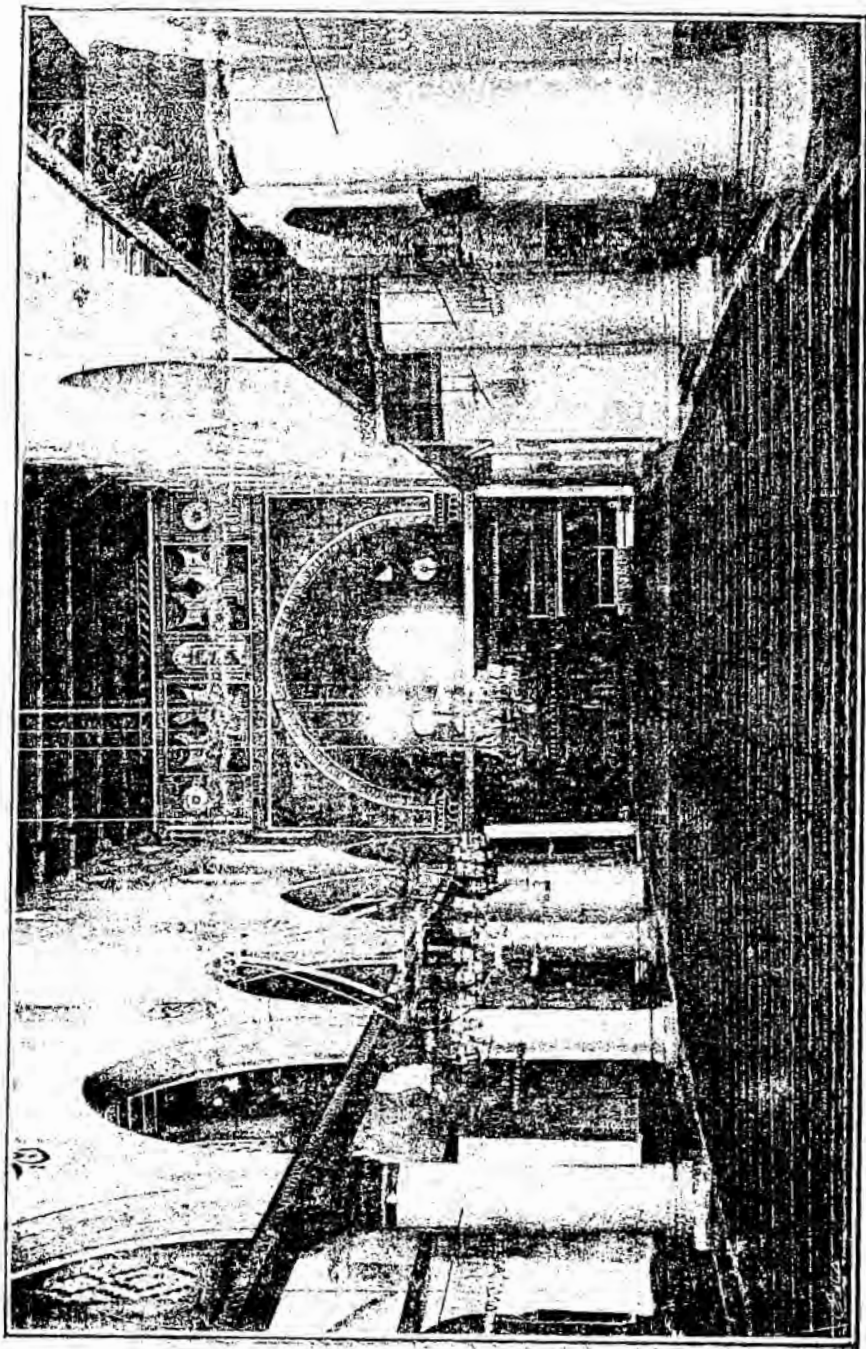
لو كان المسلمون يتدبرون ، لقضوا قضاء مبرماً ونهائياً على كل ما دسه لهم هؤلاء الضالون المضلون . وإذن كانت تطهر قلوبهم من فساد هذه الأدران الويلة ، وتسلم أفكارهم من التسمم بهذه الجرائم الويلة .

إن ذلك الثالوث اليهودى الذى تظاهر بالإسلام من أجل الكيد

(١) القرآن سورة آل عمران (٣ - ٣٦)

(٢) القرآن سورة البقرة (٢ - ١٤٣)

(منظر المسجد الأقصى من داخله)



بالإسلام ، قد نسب إلى هذه الصخرة حماقات ، وسخافات ، وترهات ، وخزعلات ، مما لا أصل له في الدين ، ولا في تقاليد المسلمين . ولكن عامة المسلمين ، غرهم أضاليل أولئك الكذابين ، وللاؤهام سلطان على العقول عند جميع الشعوب

فقد رأيت كثيرا من كتاب المسلمين يعتقدون ويصرحون بأن هذه الصخرة كانت - إلى عهد قريب منا - معلقة في الفضاء . فلا هي تتصل بالأرض ولا هي ترتبط بالسما ، بل جاهر فريق من الناس بالقول وبالكتابة أنهم مروا بجحمانهم تحتها ، من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب ، دون أن يعترضهم حاجز أو أن يصدهم حائل مع بقاء الصخرة معلقة فوق رؤوسهم ، لا تسقط عليهم ، ولا تميل يمنة ولا يسرة

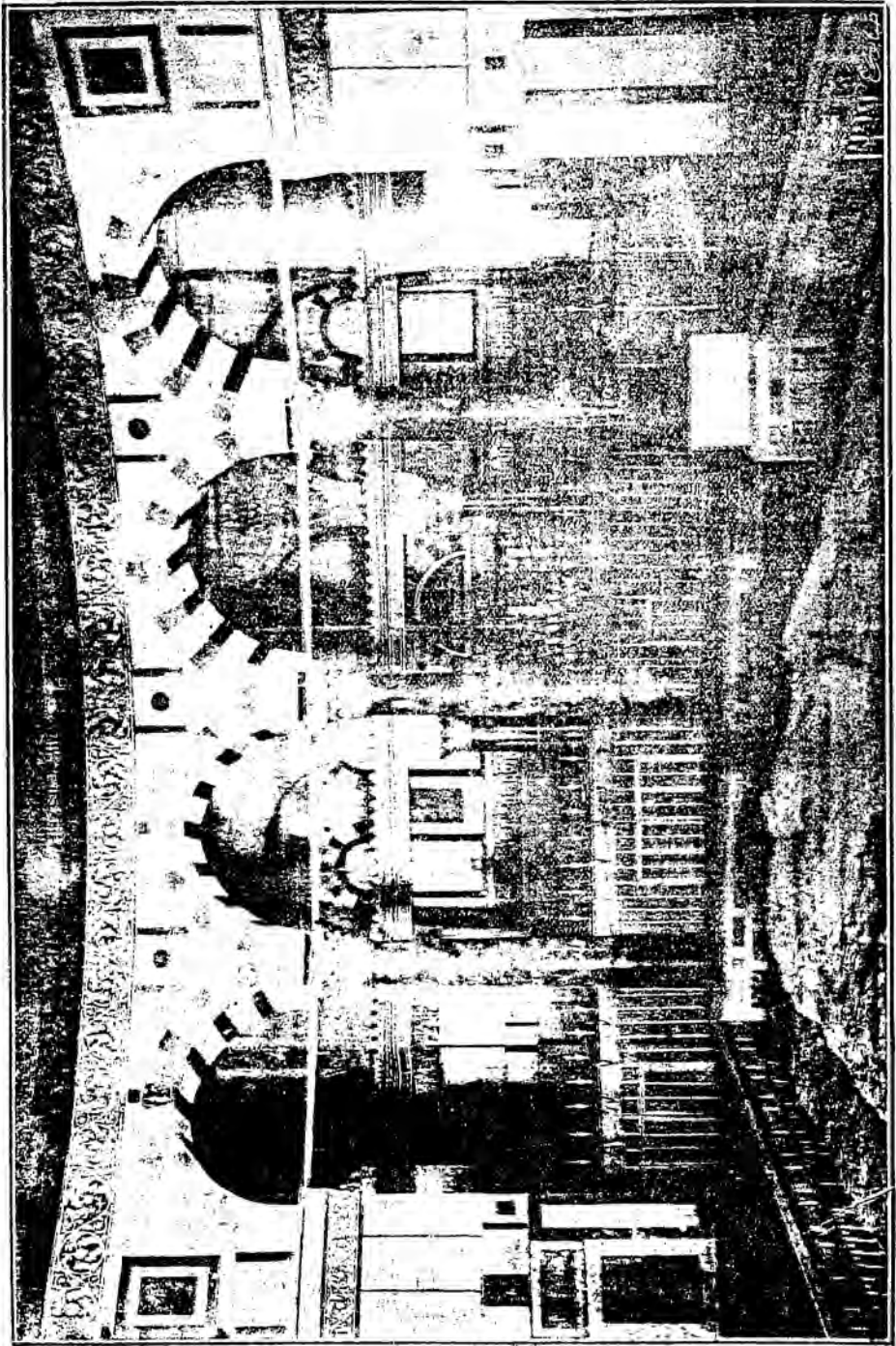
وأنا قد زرتها مرارا وتكرارا ، فلم أجد في منظرها الحالي ، أو في شكلها الماضي ما يدعو إلى مجرد الظن بهذه الأكذوبة الخرافية .

وأحسن وصف رأيته مطابقا للعقل وللواقع هو الذي كتبه الشريف الأدريسي في « نزهة المشتاق لاخترق الآفاق » أثناء وجوده في بلاط الملك رجار المسيحي الذي انتزع جزيرة صقلية من أيدي المسلمين ونصه : - « الصخرة المسماة بالرافقة ، وهي حجر مرتفع تالدكة في وسط القبة رأسها الواحد مرتفع عن الأرض مقدار نصف قامة أو أشف من ذلك ، ورأسها الثاني لاصق بالأرض ، وطول هذه الصخرة مقارب لعرضها تكون بضع عشرة ذراعا في مثلها ، وينزل من باطنها وأسفلها إلى سرداب »

ولم ينقل ابن فضل الله العمري تلك الأكذوبة الخرافية ، بل طهر منها كتابه « مسالك الأمصار »



وهل وقفت الخرافات عند حد تعليق الصخرة بين الأرض والسما ؟



(منظر آخر لقبة الصخرة من الداخل)

فأولا على ظهر الصخرة وضعوا أكاذيب أخرى .

ا — فهناك ثقب مستدير في وسطها ، يقولون إن النبي (صلعم) خرقة
نجمه أثناء تحفزه لامتطاء صهوة البراق والعروج عليه إلى السماء . وحاشا أن
يصدر ذلك من ألطف إنسان خلقه الله في أحسن تقويم !

ب — وهناك أيضا قطع رخامية مبعثرة ، هنا وهنا ، يقولون إنها هي السرج
الذي كان على ظهر البراق وما كان لنبي أن يركب على سرج من الرخام إلا إذا كان
تمثالا فوق تمثال

ج — وهناك أيضا « كف جبريل » مطبوعة على الصخرة ، حينما
لطمها يمينه لتبقى ساكنة مستقرة فلا تتصاعد في أثر البراق إلى نحو السماء ،
والملائكة مخلوقون من أنوار ، وليس للنور مثل هذه الآثار في الأحجار

ثانيا — أمام الصخرة « راية النبي » ، « راية الفاروق » ، « ودرقة حمزة
ابن عبد المطلب سيد فرسان الإسلام » (١)

وقد جرت عادة القوم أنهم يتركون الغبار يترام على هذه المخلفات الثلاثة
المزعومة إلى نهاية السنة ، وحينئذ يجمعونه ثم يبيعونه إلى من يعتقد فيه الشفاء
من كل الأمراض والأسقام . وللبفتى الأكبر الحاج أمين الحسيني مآثرة بالغاء
هذه المعرفة ، وما فيها من مضرة

ثالثا — بجانب الصخرة خزانة لطيفة فيها قطعة من الجلود عليها أثر قدم
يزعمون أنها قدم نبي الإسلام .

وذلك كذب صراح وبهتان كبير ، طالما حاربه في مصر وقد حاربه أخيرا
في بيت لحم ، وأثبت على أصل هذه الأكذوبة التي هي مثل أخواتها الاسرائيليات ،

(١) وليست درقه بل هي مرآة معدنية ، فقد قال ابن فضل الله العمري في
« مسالك الأبصار » ، طبع احمد زكي باشا :

« إنها مرآة من السبعة معادن يسمونها درقه حمزة محمولة على ثلاثة أعمدة لطاف ،
(ج ١ ص ١٤٢)

وأشرت إلى ما ينسبونه إلى النبي من أقدام آخر (وهم فيها كلها كاذبون) مثل القدم التي في مسجد البدوى بطنطا ، والتي في مسجد قايتباى بظاهر القاهرة ومثل تلك القدم التي استهوت فؤاد السائح الهروى حتى اشتراها بعشرين دينارا ، ومثل القدم المنسوبة لأبراهيم جد الأنبياء ، وأختها المنسوبة للمسيح بن مريم . كل ذلك من بقايا عبادة الأحرار ومن صناعة الفراعنة المصريين ، والوثنيين الأقدمين للأسباب التي بسطتها ، وللرامى التي شرحتها في موضعها — وهى معلومة لدى أهل الدراية والعرفان .

ومن أعجب العجائب أن هذا الحجر نفسه ، وبعينه قد جعله الصليبيون أثرا لقدم المسيح حينما استولوا على القدس ، ولم يكتفوا بالآثر المماثل له في الشكل ، وفي الكذب ، الموجود بكنيسة القيامة .

خرافات لا أرضاها لهم كما أتى لا أرضاها للمسلمين
وأما اليهود فلم يأتى عنهم نبأ بأنهم يقولون بها فيما يختص بهم وبأنبيائهم — إلا فيما يتعلق بالنبي أنوخ ، أو اخنوخ ، وهو المعروف عند المسلمين بأدريس رابعا — هنالك انخفاض في ترصيف البلاط في الجانب الشرقى من أرضية الصخرة . يزعمون أنه أثر قدم النبي إدريس حين مروره بذلك المكان . وهذه أيضا من عجز الأسرائيليات إن لم تكن من بحر الأسرائيليين وهو مالا أرضاه للربانيين من بنى إسرائيل

مغارة الصخرة

تحت الصخرة المقدسة مغارة مخوفة بفعل الأحداث الطبيعية . ينزل الإنسان إليها من الزاوية الجنوبية الشرقية على إحدى عشرة درجة متقورة في الصخر . وارتفاع سقف هذه المغارة لا يزيد على عشر أقدام بالتعديل المتوسط هنالك مقام منسوب للخليل إبراهيم على اليسار ، ومحراب منسوب لسليمان على اليمين . وأما المحراب المزعوم لآبيه داود ففي الجنوب ، يقابله في الزاوية الشمالية

المقام المقال بلاحق إنه للخضر عليه السلام (١)

هل شنت الخرافات الغارة على هذه المغارة ؟ - نعم !

ففي سقفها تجويف صغير يزعمون أنه حدث من اصطدام رأس نبي الإسلام به وفيها قطعة من الجلود بارزة الى الأمام يسمونها « لسان الصخرة » يزعمون أنها مدته لتحية عمر بن الخطاب حينما نظف الصخرة وطهرها ثم نزل إلى المغارة لأقامة الصلاة فيها . وهم في ذلك كاذبون ، إلى غير ذلك من سخافات لم استقص لها خبرا . ولم أحط بها خبرا

ونأتى الآن على بيان السبب الذى حدا بالمخرفين إلى القول بأن الصخرة كانت معلقة بين الأرض والسماء .

فأنت إذا وقفت فى هذه المغارة ، ثم ضربت الأرض بقدمك ، سمعت رنيناً يتردد صدها فى جوف الأرض . وليس فى ذلك شئ من خوارق العادات أو ما يخالف نوااميس الطبيعة : فهذه الأرض المفروشة بالرخام ، إنما هى سقف لمغارة تحتانية أو صهريج أو بئر . وربما كانت هذه البئر هى التى كانت تتسرب إليها دماء القرايين . وزعمت الأسرائيليات بأن أرواح الموتى تجتمع فيها « على شكل مؤتمر يتعقد » مرتين فى كل أسبوع . تلك هى « بئر الأرواح » ،

ولكن الذى لا ريب فيه عند العلماء المحققين ، وعند العاجز الضعيف كاتب هذه الحروف ، هو أن وجود هذه الفجوة الطبيعية ، أو المينة تحت أرض الصخرة ، هو الذى دعا إلى قول الأسرائيليات بتلك الأ كذوبة الخرافية ، وهى أن الصخرة معلقة فى الفضاء بين الأرض والسماء . ولعنة الله على الكاذبين ؟

عن دار العروبة بجيزة القسطاط — أحمد زكى باشا

(١) هذا القول منقول عن علماء الأفرنج وأما الذى رواه ابن فضل الله العمري

فهو : — وبياض المغارة المذكورة محرابان على اليمين واليسار . كل محراب على عمودى رخام لطاف . وأمام المحراب الأيمن صفة تسمى مقام الخضر يواجهها عمود رخام قائم للسقف وعمود راقد . مرد لها . وبالركن الشمالى من المغارة ، صفة تسمى ، يسمونها مقام الخليل (أنظر مسالك الأبصار ج ١ ص ١٤٣)